تمظهرات الأنا والآخر في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر قراءة في رواية "قمر إسرائيل " لنسيمة زمالي

The Manifestations of the Ego and the Other in Contemporary Algerian Novel Discourse
A Reading of the Novel "Israel's Moon" by Nassima Zamali

رميسة عريفي* **أ.د حاتم كعب**

جامعة العربي بن مهيدي ـ أم البواقي (الجزائر) جامعة العربي بن مهيدي ـ أم البواقي (الجزائر)

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي في النظام التعليمي الجزائري الواقع والمأمول

مخبر الدراسات الاستشراقية الحماية اللغوية والاجتماعية

roumaissaarifi000@gmail.com kab.hatem@gmail.com

تاريخ الارسال:2024/06/22	تاريخ التقييم:2024/11/12	تاريخ القبول:2024/12/15

الملخص

تسعى هذه الورقة البحثية إلى معالجة قضية الأنا والآخر في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، باعتبارها من أهم القضايا التي كانت ولا زالت تشغل اهتمام العديد من الأدباء والنقاد العرب، بدءا بالوقوف عند مفاهيمها التي تم تقديمها في شتى الحقول المعرفية الفلسفية منها والأدبية، كما تهدف إلى كشف تمظهرات ثنائية الأنا والآخر وأشكال حضورهما وجدلية العلاقة بينهما بالاعتماد على المقاربة الثقافية، وذلك من خلال رواية "قمر إسرائيل" للكاتبة الجزائرية "نسيمة زمالي" التي تُؤسس لمشروعها الإبداعي الجديد والفريد وتعتبره ملحمة سردية كبرى تجمع بين التاريخي والثقافي والديني والحضاري والإنساني، لتحاول الإجابة عن سؤال محوري هو: كيف تمظهرت ثنائية الأنا والآخر في رواية قمر إسرائيل، وبخاصة في إطار معركة الهوية؟.

كلمات مفتاحية: الأنا؛ الآخر؛ الغيرية؛ الصورولوجيا؛ الرواية الجزائرية؛ المقاربة الثقافية.

Abstract

This research paper looks for tackling the issue of the ego and the other in the contemporary Algerian novelistic discourse, since it's one of the most important issues that have been and still occupying the attention of many Arab

writers and critics, starting with focusing on its concepts that have been presented in various philosophical and literary cognitive fields. It also aims to reveal the manifestations of the ego and the other dichotomy, the forms of their presence and the dialectic of the relationship between them through relying on the cultural approach. This has been done by the Algerian novelist Nassima Zamali's novel "Moon of Israel". The author establishes her new and unique creative project, and considers it as a major narrative epic combining all what's historical, cultural, religious, civilizational and human to answer a key question, which is: how is the dichotomy of the ego and the other manifests in the novel Moon of Israel, and especially in the field of identity battle?.

Keywords : Ego; other; otherness; photology; the Algerian novel; the cultural approach.

*المؤلف المراسل:

1. مقدمة:

تعتبر قضية "الأنا" و"الآخر" من أهم المسائل والقضايا التي كانت ولا زالت تشغل اهتمام العديد من الأدباء والنقاد العرب، وهي من الموضوعات التي ركزت عليها نظريات ما بعد الحداثة اللذان احتضنتهما الكثير من الدراسات النقدية وتناولتهما العديد من النتاجات الإبداعية في الساحة الأدبية، حيث لا يمكن ذكر طرف دون ذكر الطرف الآخر، بمعنى أنه لا يمكن للأنا أن تعرف نفسها إلا من خلال الآخر وكذلك لا يمكن للآخر أن يعرف نفسه إلا من خلال الأنا لأن كل طرف منهما يستدعي بالضرورة حضور الآخر لتحديد كنه كل منهما، كما تعتبر صورة "الأنا" و"الآخر" أيضا من أهم مباحث الصورولوجيا(Imagologie) التي شهدت تطورا ملحوظا في الآونة الأخيرة، وهي من أكثر حقول الأدب المقارن اهتماما بالعلاقات بين المجتمعات واحتكاكها وتواصلها الثقافي كونها تهدف إلى دراسة صورة بلد أجنبي وتمظهراتها في أعمال أدبية لدى شعوب وبلدان أخرى، وذلك لإزالة الغموض واللبس الذي يعتري الصور الخاطئة التي تحملها الشعوب أو الأمم عن غيرها، نتيجة سوء الفهم وقلة الإطلاع وعدم الوقوف على الحقائق.

من هنا ونتيجة انشغالنا بقراءة بعض الأعمال الروائية الجزائرية جاءت فكرة دراسة موضوع الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة كونه موضوعا كثيرا ما تجلى لدى الكتاب الجزائريين أمثال: الصديق الحاج أحمد الزيواني في روايته "منّا قيامة شتات الصحراء، وعز الدين جلاوجي في روايته "عناق الأفاعي" واسماعيل يبرير في روايته "مولى الحيرة" وآسيا جبار في روايتها الحب والفنتازيا وواسيني الأعرج في رائعته "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"، ...الخ. فقد تضمنت نصوصهم مشاهد تصور العلاقة بين الأنا والآخر. غير أنّ اختيارنا وقع على الكاتبة الجزائرية "نسيمة زمالي" نظرا لكون أعمالها تتواءم وهدف البحث، الذي جاء موسوما بـ: "تمظهرات الأنا والآخر في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر قراءة في رواية قمر إسرائيل"، وقد وقع اختيارنا على هذه المدونة (قمر إسرائيل) لأنها تعد أحد أهم الأعمال الإبداعية للروائية التي جسدت صورة الآخر المختلف.

وعليه سنحاول في هذا المقال الإجابة عن الإشكالية التالية: ماطبيعة العلاقة بين الأنا والآخر في رواية قمر إسرائيل: هل هي علاقة مضطربة قائمة على الكراهية والعداوة، أم هي رابطة حب وانسجام أساسها التسامح والتعايش؟ وقد تفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات أهمها: ما المقصود بالأنا؟ ما مفهوم الآخر؟ كيف جسدت نسيمة زمالي العلاقة بين الأنا والآخر في رواية قمر إسرائيل؟ إلى أيّ مدى وُفِّقتْ الروائية في تقديم مقاربة جديدة للعلاقة بين الأنا والآخر في روايتها؟ هذه أسئلة وأخرى نروم الإجابة عنها في ثنايا هذا البحث، مستهدفين فهم طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر في هذه الرواية.

وقد توسّلنا في هذه الدراسة آليات النقد الثقافي باعتباره من أهم طرائق معالجة وتحليل النصوص التي أفرزتها مرحلة ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد، وذلك من أجل التوغل إلى صميم الكثير من القضايا التي ترتبط بشكل أو بآخر بقضية الأنا والآخر.

2. مفهوم الأنا:

يعد مصطلح الأنا في الفكر الفلسفي مصطلحا متلازما ومقترنا بالآخر، إذ لا يمكن الفصل بينهما أو إدراك معنى أحدهما بمعزل عن الطرف الآخر فكلاهما مكمل للآخر هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد صعوبة في وضع مفهوم دقيق له.

تترجم لفظة "الأنا" إلى لغات متعددة، ففي "الفرنسية Je, Moi، وفي الإنكليزية I, Self، وفي اللاتينية Ego"[1]

وقد أولى الفلاسفة والمفكرون الغربيون والعرب عناية بالغة للوصول إلى المعنى التقريبي الذي يدل عليه هذا المصطلح، فالأنا عند الفلاسفة العرب إشارة إلى النفس المدركة، يقول ابن سينا في هذا الصدد: "المراد بالنفس ما يشير إليه كل أحد بقوله أنا"[2]، أما من وجهة نظر الفلاسفة الغربيين يُثبت "ديكارت" وجود الأنا وتحديد انتماءها، إذ يرى أنه مرتبط بممارسة فعل التفكير الذي يتضمن اللجوء إلى الشك في جميع الموجودات، وعملية الشك والتفكير هذه هي عملية شعورية نفسية تسمح للإنسان أن يعي ذاته المتجسدة في الأنا، إذ تقترن وتتلازم الأنا بالتفكير، فأينما توجد الأنا يوجد التفكير، والعكس صحيح.[3]

أما في مجال اللغة العربية فقد عرفه أحمد ياسين السليماني بأنه "ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره، وإن كان منتجا له، وناتجا عن علاقته به"[4]؛ أي الأنا مستقلة عن الآخر أو الغير والمنعزلة عنه وحتى لو كانت تربطنا معه علاقة فالأنا تعني ذات الإنسان في مقابل ذلك الذي اختلف عنه.

3. مفهوم الآخر:

يطلق على مصطلح الآخر بعدة تسميات منها: اللأنا، الهو، الغير، المختلف...الخ وهي مرادفات لمعنى واحد، وقد وردت تعريفات كثيرة لهذا المصطلح، من بينها أنه "ذلك الغريب غير المألوف أو هو"غيري" بالنسبة للذات أو الثقافة ككل، بل أيضا كل ما يهدد الوحدة والصفاء، وبهذه الخصائص امتد مفهوم"الغيرية"هذا إلى فضاءات مختلفة"[5]؛ نفهم من هذا التعريف أن الآخر هو شخص غير مألوف وغير معروف لدى الثقافة الشرقية(ثقافة الأنا).

أما مفهوم الآخر عند جون بول سارتر فقد عولج ضمن علاقته بالأنا، ففي تحديده لمفهوم الأنا والآخر يتوسع في شرح العلاقة بينهما "حينما يؤكد وجوده بكونه موضوعا لشخص آخر، ويرى أنه محتاج من الشخص الآخر اعترافا بوجودي، إنه الوسيط بيني وبين نفسي، وليس في كل الأحوال أن يبقى الأنا أنا، فهو آخر بالنسبة لشخص آخر أكون أنا

بدوري الآخر"[6]؛ يتبين لنا من خلال هذا المفهوم أن سارتر لا يرى وجوده إلا بوجود الآخر، وأنّ هذا الأخير لابدّ أن يعترف بوجوده ويرتبط به حتى يعي ذاته ويعرف نفسه، وتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ الأنا هو في حد ذاته آخرا.

يرى عمرو عبد العلي علام أنّ الآخر: "هو عبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية، ينسبها فرد ما إلى الآخرين، وكل تعريف يُطلق على(الأنا) من شأنه أن يُطلق على الآخر أيضا، أي في حالة أن تكون(الأنا) ترتبط بعلاقة اختلاف -سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء- مع (أنا أخرى)، تكون الأخيرة (الآخر)"[7]؛ نفهم من قول عمرو عبد العلي علام أنّ الآخر هو تركيب خاص يتكون من مجموعة من الصفات والخصائص البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية، إذ يقوم شخص معين بنسبها إلى الآخرين، ويرى بصورة أعمق أنّ أي شيء ينطبق على الأنا قد ينطبق على الآخر كذلك، وما لمسناه في قوله هذا أنّ الأنا تختلف عن أنا أخرى في الجنس والانتماء والفكر، بحيث تصبح هذه الأنا آخر في الوقت نفسه.

4. قمر إسرائيل تجسيد لثنائية الأنا والآخر:

1.4. الآخر وتمثلات إيديولوجيا الظلم والتهميش:

1.1.4. جدلية الأنا العربي والآخر الغربي (ظلم الحكام):

تعتبر القضايا الإيديولوجية من المحاور الفكرية الأساسية التي تعالجها الرواية الجزائرية المعاصرة، ولهذا شكّلت الأنساق الإيديولوجية البنية التحتية التي انبثقت عنها رواية قمر إسرائيل، وتتجلى هذه الأنساق _في الرواية_ من خلال عرض آراء وأفكار ومواقف الشخصيات، واعتمدت على تصور حصرت خلاله الإيديولوجيا في المستوى السياسي الذي ينقل صراع السلطة القائم بين العالم العربي والعالم الغربي، إذ نستهلّ روايتنا قمر إسرائيل بخطاب سياسي وجهه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى الساسة والحكام العرب، يقول في مطلع الرواية:

"- قال دونالد ترامب مخاطبا القادة الأفارقة:

- إذا بعد خمسين(50) عاما من الاستقلال لم تقوموا ببناء البنية التحتية الضرورية لشعوبكم، فهل أنتم بشر؟

- إذا كنتم تجلسون على الذهب والماس والنفط والمنغنيز واليورانيوم، وشعوبكم لا تجد ما تأكل، هل أنتم بشر؟"[8]

نفهم من هذا الخطاب السياسي أنّ الشعوب العربية تعيش في وضع يسوده التأزم والصراع، فالطبقة الحاكمة المتمثلة في ترامب وجماعته هم سبب الفساد وتدمير هذه الشعوب، ففي ظل توفر جميع المعدات والخيرات والثروات القادرة على النهوض بالأمم العربية وازدهارها يبقى الحكام الغرب هم الحاجز الوحيد الذي يقف في وجه التقدم واللحق على ركب الأمم المتقدمة حتى لا تكبر هيبتها وسمعتها في أعين شعوب العالم، لذلك فالخطاب الروائي الذي بين أيدينا تحول إلى خطاب فكري وسياسي في معظم صفحات الرواية وذلك من خلال فضح مشاهد الغليان والإضطراب السياسي في العالم العربي، هذا الأخير الذي مازال يعاني التهميش والظلم من طرف السلطات الأجنبية، مما جعله ينظر إلى الإنسان الغربي نظرة سلبية أساسها أن الآخر(السلطة) هو نموذج للمحتل المتغطرس الجبار الذي يستعبد الشعوب الضعيفة ويستغلها حيفا وجورا وظلما.

ويتمظهر العنف السلطوي في قول الصحفي الإعلامي نصار الورديانى الذي رافق بطل الرواية حمزة بن دلاج: "... مثلما عزفها درويش في (مديح الظل العالي):

أمريكا هي الطاعون.. والطاعون أمريكا....

نعسنا..

أيقظتنا الطائرات وصوت أمريكا.."[9]

وهذا يعني أن السلطة الحاكمة (أمريكا) هي القاتل الحقيقي للشعوب العربية، التي يعيش أفرادها مطحونون تحت السيطرة والفقر والهيمنة السياسية، من هنا يتضح لنا الصراع القائم بين ثنائيتين متصارعتين والمتمثلين في السلطة الأجنبية(الآخر) والتي تعكس معاني القوة المركزية والسيطرة في مقابل السلطة العربية(الأنا) والتي تحتوي معاني الضعف والانهزام والهامش.

2.1.4. الأنا الشعبي (المثقف) والآخر السلطوي (سلطة جزائر ما بعد الاستقلال والشرعية الثورية):

كما نعلم جميعا أنّ الآخر عادة هو المختلف عنا في أحد المقومات الأساسية للهوية، لكن قد يكون هنالك آخر نشترك معه في كلّ العناصر الرئيسية ومع ذلك لا يمكنه أن يدخل في نسيج ذواتنا لأنه يختلف عنا في عنصر مهم ألا وهو الانتماء الفكري، وإذا تأملنا سلطة جزائر ما بعد الاستقلال نجدها تعيش حالة خواء روحي وفكري في ظل غياب الوعي الذي أفقدها العقل والأخلاق والإنسانية وجعلها بعيدة كل البعد عن الأنا الجزائرية، وقد تجسدت هذه السلطة الفاسدة في مجموعة من المسؤولين اعتلوا مناصب كبيرة في الدولة عن طريق وهم الشرعية الثورية، من أجل تحقيق مصالحهم وبناء ثروتهم والاستيلاء على ممتلكات الشعب، وبتتبع نص قمر إسرائيل للكاتبة الجزائرية نسيمة زمالي التي عايشت فترة نظام الرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة حاولت قراءة الوضع المزري للمجتمع الجزائري في تلك الفترة، الذي تعرض لشتى أنواع العنف والظلم والتعسف والإستبداد من طرف السلطة السياسية الحاكمة التي تدعي حق الاحتكار والقوة لتسيير شؤونه، فما حدث في الجزائر يسبّبه السياسات الخفية التي عملت على نهب أموال الدولة والشعب، وهو ما أثار موجة الغضب للجزائريين، فمع بداية الأحداث التي شهدتها البلاد مطلع عام2019 أو ما يُعرف بالحراك الشعبي بوصفه أحد أهم مظاهر المقاومة السياسية، خرج مئات الجزائريين في مظاهرات سلمية بالجزائر العاصمة ومدن أخرى في فبراير2019، وذلك بعد كل صلاة جمعة، فرفعوا لافتات وشعارات تطالب برحيل النظام الفاسد الذي تولى الحكم لمدة عشرين سنة، وازداد غضب الشعب الجزائري خاصة عندما أعلن رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة نيّته للترشح لعهدة خامسة، في وسط يسوده التساؤل من يحكم في مكان رجل مريض وفوق كرسي متحرك، وطبعا اتجهت الأنظار إلى أخيه السعيد بوتفليقة الذي يعتبر أحد أكبر رموز الفساد لدى الجزائريين، واستمرت الشعارات واللافتات بعدم قبول الترشح، وهو ما يجسده المقطع الآتي من الرواية: "ثورة الحرية الثانية اشتعلت في فبراير2019... الشعب الجزائري خرج عن بكرة أبيه في مظاهرات سلمية مليونية حضارية، أبهرت العالم ونشّطت أقلام الصحفيين ووسائل الإعلام عبر العالم، وشغّلت عجلة المخابرات في البلدان الطماعة"[10]، وهذا يعني أن الروائية حاولت أن تنقل مايجري في الجزائر في ظل الفساد السياسي المسيطر على الحكام والسادة، وما ينبغي ملاحظته أن الإعتصامات والمظاهرات السلمية التي قام بها أفراد المجتمع الجزائري، قد لقيت نوعا من الإستجابة، مما أدى إلى حدوث تغيير في النظام السياسي، فاستقال من استقال وحوسب من حوسب، والحوار الذي جرى بين بطل الرواية(حمزة) ونصار الورديانى يكشف ذلك:

"- أُزيح بوتفليقة عن الحكم، وأُدخل العديد من شخصياتكم السياسية إلى السجن.

- من منهم مثلا؟.

- رئيس حكومتكم الأول والثاني.

تمتم حمزة:(أويحي) و(سلّال) .

- وشقيق رئيسكم، أو الرئيس المقنّع.

- السعيد بوتفليقة.

- إمرأة، أظنّ أنها رئيسة حزب العمال.

- لويزة حنون.

- ورجال الأعمال الذين لهم علاقة بشقيق رئيسكم.

- ربراب، حداد، جميعي، بوشارب... والقائمة طويلة"[11]؛ يتبين لنا من خلال هذا المقطع السردي أن حمزة متأثر بالوسط الذي يعيش فيه، فهو ضد سياسة بلده الجزائر، مما جعله يفضح النخب الحاكمة المتورطة في سوء الأوضاع وفساد السلطة من رجال سياسة(عبد العزيز بوتفليقة، السعيد، أويحي، سلال، حنون،...) ورجال أعمال(علي حداد، ربراب، جميعي،...) والذين تمت محاكمتهم بتهم فساد ضخمة تكبدت الخزينة العمومية من جرائها خسائر جمة.

2.4. صراع الأنا العربي والآخر المستعمِر:

تصنف ثنائية الأنا والآخر أو ما يُطلق عليها في النقد الثقافي بأنساق الغيرية التي تندرج ضمن ما ينبغي تسميته بنسق العلاقات بين الشرق والغرب، فالعلاقة بين هذين الطرفين هي علاقة صراع وتنافر ومعاداة في منطلقها، وقد كان للنسق التاريخي حضورا بارزا في الرواية من خلال استحضار قصتين تاريخيتين، هما حكاية الاستعمار الفرنسي للجزائر، والتي جاءت على لسان حمزة، وقصة الاستعمار الإسرائيلي لفلسطين، والتي جاءت على لسان نصار، فالتقاء الأنا بالآخر سرديا ضمن المتن الروائي الجزائري جعلهما لا يخرجان عن إطار علاقة المستعمِر بالمستعمَر.

تبدأ الكاتبة في سرد أحداث القصة الأولى والتي ترويها على لسان البطل حمزة – كما ذكرنا سابقا- إذ تعود بنا إلى حقبة زمنية معينة وهي بداية المقاومة الجزائرية (الذات

المناضلة) للإحتلال الفرنسي (الآخر المستعمِر)، فنجدها تحدثنا عن شخصيات تاريخية عظيمة، وعلى رأسها شخصية "العربي بن مهيدي"، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الإعتزاز والإفتخار بأبطال ثورة التحرير الوطنية، الذين فضّلوا التضحية بالنفس والنفيس لينعم الوطن بالحرية، وجنّدوا طاقاتهم في سبيل الوقوف بوجه الاستعمار، يقول عنه حمزة: "العربي بن مهيدي صقر الأوراس، ما أشبهه به في شموخه وما أشبهه به في ابتسامة السخرية من الجلادين، تحظرني فيه شهادة(بيجار) في بن مهيدي لو كان لي ثلّة من أمثال العربي بن مهيدي لفتحتُ العالم"[12]، من هنا يظهر توظيف الروائية لملامح الحقبة الإستعمارية وشخصيات تأخذ طابعا تاريخيا من ذلك شخصية العربي بن مهيدي الثورية كمظهر عن إعلان الذات الجزائرية عن نضالها وكفاحها تجاه المستعمِر الغاشم الذي يسعى جاهدا لتحطيم كيانها وتدميرها.

ثم تنتقل بنا إلى تصوير معاناة الشعب الجزائري وكفاح المجاهدين الذين ضحوا بالغالي والنفيس لتحرير أرضهم من قبضة الإستعمار الفرنسي، فهي لم ترجع أبدا إلى الظروف التاريخية للصراع العربي الفرنسي، بل صورت لنا مظاهر الغطرسة والظلم والإعتداء والتعذيب والقهر، التي كانت تمارس ضد أبناء الشعب الجزائري دون رحمة والمعاملة اللاإنسانية سواء الجسدية أو النفسية التي لا يصدقها عقل ولا يقبلها منطق، وذلك بهدف خنق روح الثورة والقضاء على كل صوت يقف في وجه الإستعمار، وهذا ما يُفصح عنه المقطع التالي من المدونة والمتعلق بحالة العم صالح الذي تعرض لأبشع أشكال الوحشية والعنف والتهميش من طرف الفرنسيين، بعدما تم القبض عليه وهو يجمع التبرعات لجيش التحرير الوطني، حيث شُغّلت آلات التعذيب الجنونية لتكشف عن همجيتهم في ذلك الجسد الصابر، يقول عنه حمزة: "... فبالإضافة إلى كل أنواع التعذيب من صعق كهربائي واقتلاع الأضافر بالكلاليب، أُدخل سفّود في طرف فخذه وتم تمريره بواسطة الضغط عليه بآلة حتى خرج من الفخذ المقابلة، مما أحدث ثُقبا غائرا في الفخذين"[13]

كما تصور لنا همجية ووحشية المستعمِر الفرنسي الذي حاول انتهاك إنسانية الإنسان واستنزاف آدميته، فتقول الساردة على لسان حمزة: "حدثني عن انتهاكات جنود

الإحتلال، كيف كانوا يغتصبون الفتيات أمام آبائهنّ وإخوانهن وأزواجهنّ نكاية بهم... كيف ذبحوا ذات صبيحة في حجر الخالة كلثوم زوجها وأبنائها... "[14]

نستخلص مما ورد ذكره من صور التعذيب الجسدي في رواية نسيمة زمالي، ما كان يُكِنّه الفرنسيون من كراهية وحقد للجزائريين باستعمالهم لكل الطرق التي لا تخطر على البال ولا على الخيال، إذ لم يكتفوا بإيذائهم في أبدانهم، وراحوا يُسلطون عليهم عذابا آخر، آلامه لا تُنسى، وآثاره لا تُشفى، ونقصد بذلك: التعذيب النفسي، باعتباره الوجه الثاني لوحشية الإستعمار الذي يزرعه في النفوس البريئة، منذ الوهلة الأولى التي تطأُ فيها أرجل المغتصبين أراضي غيرها، وتمتدّ أيديهم القذرة لتجريدهم من كلّ مقومات الحياة العزيزة، فتُضعضع أركان الطمأنينة والسكينة في نفوسهم، لتتسرب إليها تيارات القلق والفزع والانهيار، وهو ما جرى مع الخالة كلثوم التي أُصيبت باختلال عقلي نتيجة الجرائم التي ارتكبها العدو الظالم في حق زوجها وأبنائها لأنهم كانوا مجنّدين في صفوف جيش التحرير، فعندما تكون الصدمة عنيفة والآلام فوق ما يتحمّله الإنسان، يضعف عقل المرء، فيُصاب بالإحباط والإكتئاب اللذان يُدخلانه في سلسلة معقدة من الأزمات النفسية، وبالتالي يؤديان به إلى الإنهيار والجنون، وفي هذا الصدد يقول حمزة: "أُصيبت الخالة كلثوم باختلال عقلي جراء الصدمة، جعلها تجوب الشوارع مشيا مرة، وجريا أخرى، لا تفقه من أمر نفسها شيئا...تسب وتشتم، وأحيانا تهدأ، تبكي وتصرخ... يعجز الناس عن الإمساك بها أو تنظيف قذارتها أو تهدئتها حين تثور ثائرتها..."[15]

إذن، فالرواية تجسد لنا علاقة الأنا الجزائرية بالاستعمار الفرنسي خلال فترة احتلاله: أي انطلاقا من الإستناد إلى مرجعية واقعية هي التاريخ الذي جمع الطرفين وجدد أوجه الصراع المحتدم بينهما.

ويتعمق الأمر أكثر في طبيعة صورة الآخر المبلورة في هذه الرواية من خلال تعبير "حمزة" الذي يكره كل ما يتعلق بالغرب (فرنسا)، حيث يرى فيه المحتل والمستغِل لثروات وخيرات الجزائريين، فبالرغم من رحيل الجيش الفرنسي إلا أنّ أفكاره ومخططاته ظلت مسيطرة إلى اليوم، وفي هذا الإطار تقول الساردة: "لم تكتف فرنسا بما نهبته طيلة قرون من الجزائر من أموال الجزائريين، أرادت هذه المرة أن تستحوذ على الغلّة كلّها لا

نصفها..."[16]، أي أن الآخر الفرنسي في نظر "زمالي" هو ذلك الفرد الانتهازي والمستعمِر الذي يسعى لفرض هيمنته وقوته من أجل خدمة مصالحه، وهو ما يوحي إلى العلاقة غير سوية الموجودة بين الشرق المستعمَر والغرب المستعمِر (الجزائر/ فرنسا) والتي تجعل هذا الأخير لا يتخلى عن مستعمَره حتى بعدما ينال استقلاله.

وتأتي بعد ذلك حكاية الإستعمار الإسرائيلي(الصهيوني) لفلسطين، حيث تبدأ المؤلفة في سرد الأحداث والوقائع التي تعود بنا إلى فترة الحرب وقائع تُبرز ما اقترفه المستعمِر اليهودي في حق الأنا الفلسطيني من تعنيف وتقتيل وقصف مستمر للأرياف والقرى والمدن، وذلك من خلال استحضارها لمقطع مهم تُبرز فيه شخصية نصار باعتبارها شخصية رئيسة يقوم عليها البناء الروائي، وهو الإنسان الفلسطيني والبطل الأسطوري الذي ورغم القهر والمعاناة والآلام التي يعيشها كل يوم إلا أنه رهن حياته وضحى بروحه من أجل فلسطين، فحب الوطن يجري في عروقه، تقول عنه الساردة: "كان نصار الورديان شابا فلسطينيا، تشرب حب القضية منذ فتحت نافذة وعيه على اغتصاب الأرض، وعلى تدنيس الأقصى، باختصار، على تغيير التاريخ وخريطة العالم.."[17]؛ فالذات مثقلة بالإضطهاد والظلم الذي يمارسه الآخر المستدمِر، وعلى الرغم من أنّ المكان هو موطن الذات، فإنّ الآخر(العدو) يمارس فيه مختلف أشكال التعالي والقهر والعنف على الذات ليظهر الآخر/الغير بوصفه طرفا فاعلا، وتظهر الذات/الأنا بوصفها طرفا منفعِلا، إذ يقع عليها الظلم والتهميش، وهذا بدوره ينمي مشاعر العداء والكراهية ضد الآخر المستدمِر، لذا فإنّ أهم دوافع الذات في عدائها للآخر هو سلوكه العدواني إزاءها.

ويشتدّ العداء بين الأنا الفلسطينية والمحتل الإسرائيلي الذي لا يتوانى عن قتل وتشريد الناس وسلب حقوقهم في العيش والحياة، والتنكيل بكل من يُعارض وجوده على أرض الوطن، وقد مارس سياسة وحشية على الذات، إذ اتّبع سياسة الإغراء والتهديد لإرغام الشعب الفلسطيني على الاستسلام له والخضوع لإرادته، وهو ما جعل الكاتبة تسعى إلى تصوير مظاهر التهجير والترحيل والنفي والعنف ضد السكان الفلسطينيين، والمقطع الآتي يوضح ذلك "كان يرى بأم عينه ما يُقدِم عليه الكيان الصهيوني من شراء للأراضي الفلسطينية بإغراء مالكيها بأثمان خيالية، أو بطردهم عنوة وتهجيرهم قصرا، وإقامة

مستوطنات يهودية مكانها"[18]؛ كل هذه الأساليب الإغرائية والوحشية تعكس أطماع اليهود في السيطرة على كل أرجاء فلسطين ومحو هوية الفرد الفلسطيني.

وفي موضع آخر من الرواية تقدم لنا الأديبة صورة مشينة/مشوهة عن هذا العدو الصهيوني المتوحش والقاتل الذي ينفث سموم الحقد والكراهية للشعب الفلسطيني، حيث تقول: "شاهد وهو صغير حرق بيارات البرتقال والليمون، شاهد صواريخ العدو وهي تُفتِّتُ الأجساد، وتُدمي الأكباد، وتُلهب الأحقاد، لن ينسى ما حيا ذلك اليوم الذي صعّدتْ فيه إسرائيل من عمليات الحفر تحت المسجد الأقصى، وطردت المسلمين ومنعتهم من الصلاة فيه،،"[19]؛ لقد تجسدت صورة المحتل اليهودي عند زمالي بوصفه مغتصب الأرض، القمعي القاتل الذي لا يفرق بين صغير وكبير، مصّاص دماء الأبرياء، العدواني الذي يعتدي حتى على المساجد ومنع المصلين من تأدية الصلاة فيها، الشخصية التي تعاني من ارتباك في هويتها، وعلى ذلك تسعى إلى أن تنفي هوية الفلسطيني، وتفرض عليه ثقافتها، فهي تخاف من الفلسطيني؛ لأنه يمتلك هويته العربية والإسلامية ويُدافع عنها، لذلك يحاول هذا العدو أن يُخرّب المعالم الأصلية العربية لفلسطين ويُلغيها لكي يُهودها، إنّ هذا الآخر لا يمتلك في الحقيقة هوية إنه مهجّن، إنه المتربص المغتصب القاتل القامع الوحشي.

ونتيجة الأفعال السيئة التي ارتكبها هؤلاء الاعداء الصهاينة في حق الشعب الفلسطيني جعل نصار يتأثر هو الآخر بالوسط الذي يتعايش فيه، فقد نذر قلمه وعلمه لحماية فلسطين منذ نعومة أضافره، وبالتالي ظلت جرائم المحتل محفورة في ذاكرته، وأكثر ما أثر فيه موت صديقة طفولته الفتاة جيداء التي كان يحبها "انتبه نصار ليجد المنقِذ يحمل فتاة قد غابت ملامحها تحت غبار الردم واختلط شعرها بالدماء، وتغيرت ألوان ثوبها الأرجواني ذي الأزهار الصغيرة البيضاء والبطات الجميلة الصفراء"[20]؛ هذا القتل العمدي والتعسفي لجيداء دفع نصار لتغيير أفكاره، فقد قامت الساردة بتعرية الواقع وكشف أشكال القمع والعنف الممارس من طرف جنود الإحتلال الإسرائيلي الذين ما يزالون إلى اليوم يرتكبون الجرائم ضدّ الإنسانية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الرواية لم تركز فقط على استحضار مشاهد الأنا والآخر من وجهة أنا فلسطيني وآخر إسرائيلي بل ركزت أيضا على تبيان ملامح العلاقة بين الأنا

الجزائرية المقاومة والآخر الغاصب المستعمِر(الإسرائيلي)، هذه العلاقة القائمة على الصراع، ومن أجل الوصول إلى هدف الإستقلال والتحرر وإجلاء العدو الصهيوني/اليهودي من أرض فلسطين المحتلة، إذ نجد جهود السياسيين وشريحة من الشباب العرب المسلمين الذي اقتنع بهذه القضية وتبنّاها ومدّ لها يد العون، واستثمرت هذه المقاومة إمكانات تطور وسائل التكنولوجيا والشبكة العنكبوتية على الرغم من قلة الإمكانيات بغية ضرب الكيان الصهيوني(اقتصاديا) ودعم المقاومة الفلسطينية بطريقته الخاصة، ورغم أنّه متشرب للقضية الفلسطينية يُحبّ البلد، هذا جعله يساندهم ويقف ضدّ الصهاينة، فضلا عن الهالة الإعلامية التي أفرزتها هاته الحادثة وما عقِبتهُ من آثار أثّرت سلبا على طبيعة صورة هذا الكيان عند شعوب العالم، وأسقطت الصورة المكذوبة المتوهمة بأنّه كيان قوي لا يُقهر، وعلى رأس هؤلاء الشباب نذكر حمزة المصنف ضمن أخطر الهواكر في العالم، والذي ضحى بروحه من أجل فلسطين، وذلك من خلال قيامه بمجموعة من الأفعال التي تعبّر عن المقاومة ولعل أهم وسيلة من وسائل هذه المقاومة "الرقمنة على الحسابات البنكية"، فهو يحمل بعدا إنسانيا تمثّل في التضحية ومساعدة فلسطين بتحويله مبالغ مالية في حساب الجمعيات الفلسطينية، والمقطع الآتي يوضّح ذلك "تمكّنتُ من اكتشاف مواقع سرية ومحظورة، اخترقتُ حسابات بنكية خطيرة، كنتُ آخذ منها ملايين الدولارات وأُحوّلها إلى حسابات أخرى، جمعيات خيرية وإنسانية، أساعد المعذبين في الأرض، وأرفع البؤس عن المظلومين والمقهورين... من بين أهم البنوك التي اقتحمتُها بنوك إسرائيل، حيث حوّلتُ منها مبالغ ضخمة إلى حساب منظمة الأنروا وضحايا القصف الإسرائيلي في غزة، وجمعيات خيرية أخرى... ولست نادما يوما عن ذلك"[21]؛ فعملية القرصنة التي قام بها تعبر عن ظهور ثقافة جديدة بدأت تفرض نفسها، تقطع مع الطرق التقليدية للمقاومة وتُنبأ بمستقبل وفير من الصراع الرقمي الذي ينفتح عليه هذا الواقع الجديد، وهذا يدل على أنّ حمزة إنسان مقاوم ومناضل قادر على الصمود، حبّه وتعلّقه بفلسطين دفعه إلى المجازفة في تقديم يد العون ومساندة هذا الشعب المظلوم الذي سلب الكيان الصهيوني منه حرّيته وسرق أراضيه، فنجده يُقدم روحه فداء هذا الوطن غير مبال بكلّ ما يُلصقه به هؤلاء من تهم(اختراق البنوك مثلا)، يقول في هذا الصدد: "لقد أخذت من أموالهم صدقة لا لِأُطهرهم

ولا لِأُزكيهم بها، ولكنّني ساعدتُ بها المحتاجين من شعوب العالم، ألم يأخذوا هم أموال الأمم ظلما وعدوانا.مجرد تحقيق لبعض العدالة، ولا يهمّني بعد ذلك ما ألصقوه بي من تهم"[22]؛ وكما يلاحظ أن حمزة من خلال هذا التعبير يسعى ليميط اللثام عن وجه هذا العدو الظالم، كي يُظهر للمتلقي حقيقته ويكشف نواياه الشريرة، وفي المقابل كيف يتعامل الإسرائيلي المحتل مع مثل هذه الأشكال المقاومة، وذلك بإغرائه بعدما تم القبض عليه، حيث عرضوا عليه بوساطة سفيرها التطبيع معهم مقابل الإفراج عنه، وترحيله إلى تل أبيب للعيش هناك عيشة الملوك، إلا أنه رفض العرض، يصرح بذلك قائلا :"ساومتني إسرائيل في سجن جورجيا، عرض عليّ سفيرها إطلاق سراحي وترحيلي إلى (تل أبيب)، للعيش هناك عيشة الملوك، شرط العمل على حماية مواقع الموساد الحساسة. رفضت العرض مرارا وتكرارا..."[23]؛ وهذا يعني أن حمزة لم يستسلم ولم يقع في خدع المستعمِر وأحاييله، واكتشف حقيقة مفادها أن أسلوب الإغراء الذي اعتمده هذا الأخير ما هو إلا مظهرا من مظاهر تضليل الناس، ليستكينوا له ويخضعوا لإرادته، فالسجن عنده أفضل ألف مرة من الإنقياد والتبعية لآخر إسرائيلي مختلف عنه هوية وانتماءً، وهو ما جعله يكشف القناع عن الوجه الحقيقي لإسرائيل الظالمة والدنيئة التي تتسلى بترويع الناس والتحكم بالعباد، معتبرة كل معارض لها أو ثائر في وجهها إنسانا همجيا، حاول تجاوز سقف مطالب الحياة التي خُلِقَ لأجلها، لذا يجب إعادته إلى رشده، ولن يعيده إلى ذلك غير العصا، والدليل على أنها قامت بتحويله إلى سجن يدعى "قمر إسرائيل"، حيث مارست عليه أبشع أساليب التعذيب والإهانة والإستنطاق المختلفة، تقول الساردة على لسان حمزة: "في مكتب ما كذلك، علمتُ بعد ذلك أنه الموساد الإسرائيلي استُجوبتُ، عُذّبتُ، أُهنتُ، عرفتُ إلى أي حد يمقتنا الصهاينة، حيث صرخ بي صاحب عذاباتي، إنك لا تخرج عن كونك عربي حقير قالها بالعربية عامدا متعمدا لأفهمها..."[24]؛ ونجد الروائية نسيمة زمالي تقدم عبر هذا المقطع صورة سلبية عن المستدمر، تتجلى فيه فظاعة القمع، ووحشية الإبادة في ظل ارتكاب الأفعال الشنيعة، ضد الذات الجزائرية المضطهدة التي حاولت بذل أقصى ما يمكنها كي تستطيع الحفاظ على هويتها، بل وفضلت القهر والعذاب على عار الإستكانة للأعداء.

ولم تتوقف قساوة المستعمِر عند هذا الحد بل ذهب بهم خيالهم إلى أبشع من ذلك، إذ نقل لنا حمزة في معتقله بعض المشاهد المخزية، التي أُهينت فيها النفس البشرية، فعُوملت كما تُعامل الجمادات التي لا مشاعر لها "ما أقسى قمر إسرائيل بظلمته ووحشته وصمته، وأقسى من سجّانوه... الذين لا شغل لهم إلا تجديد عذابات السجناء، مرة بالإهانات والتجريح، ومرة بالضرب، وأخرى بالتجويع ورابعة بالترويع"[25]

وتتوسع دائرة المعاملة الوحشية للسجناء، من خلال ما حدث مع شخصية "حمزة" عبر مشاهد كثيرة في فضاء الرواية، تعكس الاستخدام المفرط للقوة ووحشية المعاملة، خصوصا لما أقدم جنديان إسرائيليان على جره من ذراعيه، بمعية ثمانية جنود يدفعونه بالقوة إلى السير، يركلونه بأحذيتهم، كل ذلك ضمن مشاهد بشعة وحقيرة، إنه العنف العسكري الإسرائيلي إن صح التعبير، تقول الساردة في الصفحة الأخيرة من الرواية: "... والجنود يجرونه في العتمة متكالبين عليه كما تتكالب الوحوش إلى فريستها.. حضر في ذهنه ما قرأه عن أحمد زبانة وهو يُقاد إلى المقصلة فتشابه المشهدان وتواءم الموقفان، فأنشد فعارض مفدي في زبانة: قام يختال إلى بني صهيون وحيدا ليرتق المجد إذ غدا في الحياة زهيدا"[26]؛ إنها سلوكات رمزية تريد صاحبة الرواية أن توصل بها رسالة بليغة إلى المتلقي ليفهم ما حدث، وتنتهي الرواية نهاية مفتوحة فلا أحد يعلم مصير "حمزة" إذا كان قد تم إعدامه أم وُضِعَ رأسه في المقصلة.

3.4. التعايش بين الأنا والآخر:

بالموازاة مع الصورة السابقة التي كرست القطيعة أو اللّقاء المستحيل بالآخر، تُقدم لنا رواية "قمر إسرائيل" نسقا مختلفا للمواجهة الحضارية بين الأنا والآخر، يتمثل في نسق التواصل واللّقاء، تكشف من خلاله عن نموذج لعلاقة إنسانية نبيلة، تتكئ على خلفيات إنسانية مشتركة، تُزعزع تلك الصورة النمطية للآخر التي ظلّت راسخة في الوعي الجمعي العربي عموما والفلسطيني بوجه خاص، والتي ترى فيه النقيض والعدو الذي يجب رفضه في جميع صوره.

يبرز الآخر في هذا النسق المختلف مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك، من خلال شخصية المرأة اليهودية "جولدا نتالي" التي تُجسد هذا النمط من التواصل مع الآخر (الذات

الفلسطينية)، فهي شخصية ترمز بها الأديبة إلى جزء من الآخر، تتميز بإنسانيتها ورفضها للظلم والقهر الممارس على الفلسطينيين.

تحكي لنا الرواية بعض الجوانب المهمة من السيرة الذاتية لجولدا الفتاة اليهودية، سمّاها جدها بهذا الاسم تيمّنا بوزيرة الدفاع الإسرائيلية (جولدا مائير) في حرب 1973م التي خاضها والدها، وهي إحدى زميلات نصار في الدراسة تقول الساردة على لسانه (نصار): " .. جارة لنا من تربيات هادية، تربينا في حارة واحدة، ودرستُ معها في مدرسة واحدة.. فتاة يهودية اشترى جدها المنزل من أحد الفلسطينيين بعد أن هاجر إلى الأردن دون رجعة"[27]؛ ومن هنا تلعب المفاصل السير ذاتية المتعلقة بحياة جولدا دورها في لفت انتباه المتلقي إلى هذه الشخصية وتحاول استمالته إليها، وإيهامه بإمكانية وجودها.

كما تظهر في الرواية صفة مميزة لجولدا اليهودية، وهي الاندفاع في مغامرة الإندماج مع الشعب الفلسطيني والتعايش معه، بالإضافة إلى ذلك فإنها سيدة مهذبة، محبة للتصالح، رقيقة الحواشي لا تتجلى فيها علامات الغطرسة الصهيونية، فتاة جادة في تصرفاتها وقراراتها ووجهة نظرها، ولهذا فهي لا تُغيّر آراءها ولا تلين في مواقفها، والدليل على ذلك أنها رفضت الرحيل إلى حارة اليهود، واختارت فلسطين وطنا بديلا عن وطنها الأم رغم تمسكها بديانتها اليهودية، والمقطع الآتي يوضح ذلك: "لكن جولدا ورغم تمسكها الشديد بديانتها اليهودية لم تحمل يوما أفكارا دموية صهيونية، بل على العكس من ذلك كانت رقيقة حساسة، من لا يعرفها عن كثب ويراها وهي تلعب مع أطفال المسلمين يظنها مسلمة، حتى أنها رفضت مرارا رغبة والدها في بيع المنزل والرحيل إلى حارة اليهود..."[28]؛ عبّرت شخصية (جولدا) عن صورة الفتاة اليهودية المتسمة بكل المظاهر الإيجابية نتيجة تسامحها وانفتاحها على الآخر، وقد كانت تسعى إلى أن يسود السلام ويتعايش العرب المسلمون واليهود جنبا إلى جنب في حبّ وإخاء دائمين، فالرواية إذن تُروّج لنسق يرتبط بالفرد الإسرائيلي، هذا الفرد الذي جعلته الرواية يتميز بإنسانية راقية وحس رهيف، فمن خلال هذه المعاملة تصبح المعاملة الإسرائيلية إنسانية خاضعة للقانون وتحترم حقوق الإنسان.

وفي إطار الحديث عن الصورة الإيجابية التي رسمتها الأديبة عن اليهود، تسرد لنا على لسان "نصار" قصة إسلام الطبيب اليهودي "ناحوم عزرا" الذي كان يتميز بحقده

الدفين على الإسلام والمسلمين، حيث تقول: "عضو مستشار في الموساد وهو من اليهود القادمين إلى فلسطين من بلغاريا... تشبّع ناحوم بكره كل الشعوب عدا بني قوميته اليهود"[29]؛ ويدل هذا على أنّ أشد الناس عداوة للعرب والمسلمين على مر الأيام والسنين هم اليهود، حيث يبين لنا المقطع السابق بذور الكره التي يزرعها اليهود في أنفسهم وأبناءهم على مر الزمن ضد المسلمين كافة، يقول اللّه عز وجل في محكم كتابه: "لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود والذين أشركوا".[30]

بدأت قصة إسلام الطبيب "ناحوم" بعد تأثره بعلاقة المودة والرحمة التي جمعت بين الشيخ الذي صدمه بسيارته وزوجته العجوز التي كانت تقوم على خدمته بعد دخوله إلى المستشفى، بينما "راح يتساءل لأول مرة عن الإسلام... يشاهد الزوجة في صلاتها، يسمعها وهي تُرتّل القرآن، حاورها يوما عما يحكيه القرآن عن بني إسرائيل، أخبرته بالتفصيل عن قصة اليهود، من بعثة إبراهيم خليل اللّه، إلى قصة إبراهيم وسارة وهاجر وإسماعيل وإسحاق، إلى يعقوب وحياتهم في كنعان، إلى محاولة تخلّصهم من يوسف في الجب، إلى رحيلهم إلى مصر، فظهور موسى من ذرية لاوي سبط يعقوب، إلى معاناتهم مع فرعون... وصولا إلى قصة مريم وعيسى، وكانت كل مرة تُرتّل له هي أو زوجها من المصحف الشريف عن شأن اليهود خبرا"[31]؛ فمن خلال هذه القصة التي ذُكرت في الرواية، بيّنتْ لنا "زمالي" مدى جهل اليهود تاريخ الإسلام والقيم التي يحملها لنا القرآن الكريم، ونتيجة هذا التساؤل الذي تبادر في ذهن "ناحوم" جعله يتفطن في الأخير إلى ما كانت تُعلمه له عصبته الصهيونية بأنّ "الإسلام دين دموي، الإسلام دين إرهاب، الإسلام دين قتل واعتداء... المسلمون أعداء اليهود"[32]؛ وهو ما دفع به إلى اقتناء الكثير من الكتب المتعلقة بالدين الإسلامي من بينها كتب الحضارات وشهادات المستشرقين في رسول اللّه محمد(ص)، ومصحفا مترجما إلى اللغة العبرية(لأنه لا يجيد اللغة العربية)، فاقتنع بدخوله للإسلام وأصبح يؤمن بإمكانية التخلي عن ديانته وانتمائه وعرقه، كاشفا عن الأخطاء الفادحة للحركة العقائدية اليهودية الخاطئة تجاه الشعوب العربية المسلمة، تقول عنه الروائية: "دفع الفضول ناحوم إلى قراءة القرآن والتفاسير، واستفاض في قراءة التاريخ الإسلامي... أخيرا اقتنع بما أتى به الإسلام، دخله مقتنعا راغبا طيّب الخاطر.. خاف على دينه من

الموساد الإسرائيلي وترصداته وتعقباته.. لقد أصبح عدوا له.."[33]؛ إذن فقد كشفت الرواية عن النسق الديني متجليا في ثقافة وسلوك الشخصية اليهودية التي رسمتها الروائية وهي تكشف عن أفكارها وتصوراتها وتبرز أهدافها من الحياة ومعرفتها بالدين الإسلامي واتباع تعاليمه.

خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية التي حاولنا من خلالها مقاربة موضوع الأنا والآخر وتمظهراتهما في رواية قمر إسرائيل للأديبة الجزائرية "نسيمة زمالي" بالدراسة والتحليل نخلص إلى النتائج الآتية:

_ يتمظهر النسق الإيديولوجي في الرواية من خلال الصراع القائم بين ثنائيتين متصارعتين هما السلطة الأجنبية(الآخر) ممثلة في ترامب وجماعته التي تعكس معاني القوة المركزية والسيطرة، في مقابل السلطات العربية(الأنا) والتي تحتوي معاني الضعف والانهزام والهامش، كما ينقل لنا هذا النسق الصراع بين الشعب الجزائري والسلطة المحلية(الوطنية) والذي ظل إلى غاية رحيل النظام السياسي الفاسد وحلول نظام جديد مكانه.

_ يتضح من خلال دراستنا لعلاقة الأنا الجزائرية بالآخر الفرنسي (السلطة الاستعمارية) أنها قد وردت في مظهر سلبي قائم على الصراع والعداء والنبذ، فالآخر الفرنسي ما هو إلا صورة مصغرة عن الغرب/فرنسا بما يحمله من عداء وإيلام وتعذيب واستغلال فظيع للبيئة الجزائرية وأفرادها الذين يعيشون مطحونون تحت السيطرة والهيمنة السياسية، ويظل هذا الاستغلال حتى بعد الإستقلال، وينبغي القول كذلك أنّ فرنسا قد مثلت قوة ضاغطة على الشعب الجزائري بهدف تعطيل حياتهم خفية أو علانية، وتعمدت المعاملة الشريرة والقاسية وذلك بهدف خنق روح الثورة والقضاء على كل صوت يقف في وجه الاستعمار.

_ تُبرز الرواية إشكالية الصراع القائم بين المجتمع الفلسطيني المغلوب على أمره والاحتلال الإسرائيلي/ الصهيوني المصنف ضمن جدلية الأنا والآخر التي تكشف عن صعوبة التعايش والتواصل الثقافي والحضاري والاجتماعي بين فلسطين واليهود، فالعلاقة مع الاحتلال

الإسرائيلي من خلال المتن الروائي الجزائري لم تخرج عن ظواهر الهيمنة والطغيان والإستبداد والظلم.

_ تعتبر رواية "قمر إسرائيل" من بين الروايات العربية التي أسهمت في وصف بعض حلقات المقاومة التي يقوم بها جيل الشباب ضد الكيان الصهيوني الغاصب، كما أظهرت مستوى الوعي عند هذه الطبقة من الشباب التي لم تنفصل عن القضية الفلسطينية بوصفها قضية محورية عند شعوب العالم الإسلامي، يظهر الاهتمام بها من حين إلى آخر عبر أشكال مختلفة، وأفعال متنوعة، ويمكن القول أيضا أنّ شخصية "حمزة بن دلاج" هي شخصية واقعية استثمرتها الروائية نسيمة زمالي لعرض طبيعة الوعي بالقضية الفلسطينية عند فئة الشباب العربي المسلم (الجزائري) في الواقع الراهن، فإنّ الرواية من جهة أخرى تُعدّ مقاومة أدبية/ فنية/ سردية في وجه الكيان الصهيوني.

_ تجاوزت نسيمة زمالي في رواية قمر إسرائيل تلك النظرة التقليدية عن الآخر والتي تُحجزه في إطار واحد وتعتبره ذلك الغربي المعادي لكل ما يمثل الذات، إذ قدمت لنا في روايتها صورتين للآخر، الآخر العنصري المعادي لكل ما يمثل الشرق، وقد جسد هذا الدور في الرواية المستعمِر الفرنسي والإسرائيلي على حد سواء، والآخر الذي يؤمن بالتعايش ويتقبل الاختلاف وينبذ العنف وسيلة للوصول إلى أهدافه، وقد جسد هذا الدور في الرواية الطبيب اليهودي ناحوم والفتاة جولدا.

_ بهذه الرواية تحاول(زمالي) جاهدة إقامة جسر بين الشرق والغرب، ساعية إلى تصحيح الصورة المشوهة الجاهزة في ذهن الإنسان الغربي عن الذات العربية المسلمة، فنقلت للمتلقي الغربي مباشرة عبر لغة من لغاتها الصورة الإيجابية/ المشرقة للمسلم الشرقي، صورة صادقة حقيقية، وأوضحت له وجهة نظرها، رغم الحروب الكثيرة والصراعات العقائدية التي مازالت قائمة بينهما.

الهوامش:

[1]. صليبا جميل: 1982، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ط)، ج1، ص: 139.

[2]. صليبا جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، الصفحة نفسها.

[3]. ينظر، سعدي اسعيد، بن بوزة مليكة: 2021، ثنائية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "الملكة" لأمين الزاوي نموذجا، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، الجزائر، المجلد06، العدد02، ص: 234.

[4]. السليماني أحمد ياسين: 2009، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، ص: 104.

[5]. الرويلي ميجان و البازعي سعد: 2002، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، ص: 21.

[6]. نقلا عن السليماني أحمد ياسين: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، ص: 95.

[7]. علام عمرو عبد العلي: 2005، الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، دار العلوم، القاهرة، ط1، ص: 17.

[8]. زمالي نسيمة: 2021، قمر إسرائيل، منشورات دار لوتس للنشر الحر، ص: 05.

[9]. زمالي نسيمة: قمر إسرائيل، ص: 30.

[10]. المصدر نفسه، ص: 47.

[11]. المصدر نفسه، ص: 48.

[12]. المصدر نفسه، ص: 53.

[13]. المصدر نفسه، ص: 60.

[14]. المصدر نفسه، ص: 62.

[15]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[16]. المصدر نفسه، ص: 82.

[17]. المصدر نفسه، ص: 16.

[18]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[19]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[20]. المصدر نفسه، ص: 17.

[21]. المصدر نفسه، ص: 98.

[22]. المصدر نفسه، ص: 14.

[23]. المصدر نفسه، ص: 103-104.

[24]. المصدر نفسه، ص: 105.

[25]. المصدر نفسه، ص: 51.

[26]. المصدر نفسه، ص: 119.

[27]. المصدر نفسه، ص: 43.

[28]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[29]. المصدر نفسه، ص: 23.

[30]. سورة المائدة: الآية: 84.

[31]. المصدر نفسه، ص: 24.

[32]. المصدر نفسه، ص: 25.

[33]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر:

1. زمالي نسيمة: 2021، قمر إسرائيل، منشورات دار لوتس للنشر الحر.

ثانيا: المراجع بالعربية:

2. أشهبون عبد المالك: 2011، العنوان في الرواية العربية، الناشر للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط01.

3. الرويلي ميجان و البازعي سعد: 2002، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط03.

4. السليماني أحمد ياسين: 2009، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط01.

5. شحاتة حسن: 2008، الذات والآخر في الشرق والغرب (صور ودلالات وإشكاليات)، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط01.

6. صليبا جميل: 1982، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، (د.ط).

7. علام عمرو عبد العلي: 2005، الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، دار العلوم، القاهرة، ط1.

8. قطوس بسام موسى: 2001، سيمياء العنوان، طبع بدعم من وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1.

9. مجمع اللغة العربية: 2008، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4.

ثالثا: المقالات:

10. ينظر، سعدي اسعيد، بن بوزة مليكة: 2021، ثنائية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "الملكة" لأمين الزاوي نموذجا، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، الجزائر، المجلد06، العدد02.